اجتمع فراغ القلب على ما نبيّن ويقال على أربع مقامات على السنة والجهل والغفلة
والعمى وإنه أكثرت غفلة القلب فقد إلهام الملك للعبد وهو سمع القلب لأن طول
الغفلة تصد عن السمع وعدم سمع الكلام من الملائكة عقوبة الخطايا وتثبيت
الملك للعبد على الخير والطاعة وحي من الله عز وجل إليهم وتفضيل للعبد أما
سمعت قول الله عز وجل إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وفي الخبر أن آدم عليه السلام حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش
لذلك فقال يا رب ما لي لا أسمع كلام الملائكة فقال خطيئتك يا آدم فإنه من
يسمع العبد كلام الملائكة لم يفهم كلام الملك وإذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم
الذين يسمعون وقال الحسن إن بين العبد وبين الله عز وجل حدًا محدودًا من الذنوب
فإذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه للخير أبدًا بعد ابتداره إلى المحاذر للحدود
بالتوبة والرجوع قبل أن تبلغ الحد فتلقى غبنًا وخسرًا وفي حديث ابن عمر
الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت المحارم بعث الله عز وجل بالطابع
على القلوب فطبع عليها وهذا هو القفل الذي قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أم
على قلوب أقفالها واعلم أن القسوة التي توعد الله عز وجل عليها بالويل
للمتولي من طول الغفلة في قوله عز وجل فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد
قرنها الله عز وجل بالنفاق وأخبر أنه يجعل إلقاء الشيطان فتنة لأهل النفاق وأهل
القسوة فإلقاء الشيطان يكثر عند قلة إلهام الملك كما ذكرناه أولًا فنظم ذلك من
قوله عز وجل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم أيضًا والقسوة من العبد والعبد عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين
من ذلك فحوى الخطاب من قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم أي أبعدناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية فجزاء الذنوب بعد القسوة من الكذب والتبديل وكثرة الاطلاع على
الخيانة منهم والنسيان فأصيبوا بالذنوب فوقع الطبع على القلوب وحجبنا عن
سمع كلام المحبوب كما قال أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فجلاء هذا الطبع
التقوى وهو مفتاح السمع كما قال اتقوا الله واسمعوا والله تعالى الموفق

الفصل السادس عشر

فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة اعلم أن مشاهدة المراقب على أول مراقبة المشاهدة
وذلك أن من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقامه المشاهدة كان
وجد المراقبة فأول مشاهدة المراقب هو أن يعلم يقينًا أنه لا يخلو في كل وقت وأنه في
من أحد معاني ثلاثة أن يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين ... أمر

بيعقله

بفعله ويتقي أو بتركه وهو اجتناب النهي والمعنى الثاني ندب حث عليه وهو المسارعة
يقربه إلى الله عز وجل والمسارعة به يحمل بشرى قبل فوته والمعنى الثالث شيء
مباح فيه صلاح وقلبه وليس للمؤمن من وقت رابع فإن أحسن وقته أربعة فقد
تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد أحسن في حق الله ومن
أحسن في حق الله فقد سلك غير طريق المتقين ألم تسمع إلى قوله عز وجل وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا فهما تجري بين خلائق وقتا محمل
أو هو محل تجري بين الليل والنهار ووقتًا للذكر والذكر للإيمان والعلم وهما إذا تتضمنان
محل أعمال القلوب والشكر العمل فأخلاق الإيمان وأحكام العلوم وهذان يشتملان
على جميع أعمال الجوارح قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرًا وقال واتقوا الله
لعلكم تفلحون فلعلكم تشكرون وقال كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم إلى قوله فاذكروني
أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب في طول قيامه حتى تورمت قدماه أفلا
أكون عبدًا شكورًا فسمى القيام بالعمل شكرًا كما سمى الله تعالى العمل بالشكر والوقت
الثالث الذي هو المباح لا أخل بهما لأنه معين عليهما ولا بد أن يستعان للعبد بهما أو
وقد كان بعض العلماء يقول لتأتي مواطن الطاعات هم ويشغل عن مواطن المخالفات
فيبتدئ العبد المراقب فيلاحظ بيقظته في أمر في وقته لما له عز وجل فيه عليه
من فرض أو نهي فيبادر إليه حتى يفرغ منه فإن لم يجد فإنه لا يخلو من نوافل وفضائل
فيبتدر في ما أفضل فإن لم يكن يعمل في أمر في العفو لنفسي فليأخذ العبد من نفسه
لنفسه ومن يومه لأمسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لآخرته كما أوصي به في
قوله سبحانه ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تنس أن تأخذ نصيبك من الدنيا لآخرتك
أن تأخذ نصيبك للآخرة من دنياك وهو أن تحسن كما أحسن الله إليك ولا تطلب الفساد
في الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة فيستحق الله من جزيل ثوابه الذي أعده
حبائبه كما قال نسوا الله فنسيهم أي تركهم فتركهم لذلك نصيبهم فقد تركه
لهم زاد عليهم من الآخرة فيبتدئ العبد الفطن فيأخذ من عمره ووقته فيجعله لآخرته
الذي أبقى حيث تعجل فيأخذ من وقته أعلى ما قيد لما تحب به الوقت ولا يوجد الأفيد
ويعون ركة بفوات وقته وهو أفضل ما يقدر عليه مما إذا علمه الله منه جعله ثمرة
ثم أن العبد لا يخلو في كل وقت وإن قل من أحد مقامين مقام نعمة أو مقام بلية
فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس بعد ذلك أحد
مشاهدتين شهود نعمة أو شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود حاله وحضور
مملوكة فعليه الحزن منه الموجود وعليه الحضور والمحاسبة دليل المراقبة ويكون له
أيضًا في أدنى أوقاته وهو الوقت الثالث الذي هو لمباحه وهو أدنى أحوال المؤمن

Copyright © King Saud University